

شبابنا والمشروعات الصغيرة

قال لى وهو فى غاية الحزن : لقد فقدت الأمل تماما فى الحصول على وظيفة حكومية . قلت له : أمامك المشروعات الخاصة ؟ قال ومن أين لى بالخبرة ورأس المال ؟ قلت : تبدأ من البداية . التحق بأى عمل عند شخص لديه مشروع صغير . قال : أقوم بذلك وأنا معى شهادة جامعية محترمة ! قلت : فلتكن الشهادة دافعا لك لكى تتقن عملك الجديد ، أيا كان نوعه ومكافأته ! قال : ولماذا إذن أنفقت كل تلك السنوات فى التعليم ؟ قلت : كانت الحكومة فى الماضى تتكفل بتعيين جميع الخريجين ، والآن لم تعد هناك أماكن إلا للعشرين الأوائل فقط فى كل عام . قال : يعنى أنا من ذوى الحظوظ السيئة الذين جاءوا فى الزمن الردى . قلت له : أبدا والله ، فلعل عدم حصولك على وظيفة حكومية بمرتب شبه ثابت ، وعلو هزيلة للغاية يكون أفضل بكثير ، عندما تتجه للأعمال الحرة والمشروعات الخاصة . قال : يعنى هل ترضى لى أن أكون صبى نجار ، أو صبى ميكانيكى أو موصل طلبات للمنازل ؟ قلت له : وما عيب هذه المهن ؟ المشكلة عندنا أن بعض العادات السيئة قد استقرت منذ زمن طويل ، ولم تجد من يتصدى لها بجرأة لكى يهاجمها وبالتالي يسقطها من عرشها . ومن ذلك فكرة أن العمل الميدوى أقل مكانة وقيمة من العمل المكتبى أو الذهنى ، وكذلك فكرة أن بعض الأعمال أشرف من غيرها ، وبعضها الآخر أهون من بعضها ، مع أن المجتمعات المتقدمة فى العالم لم تصل إلى ما وصلت إليه إلا عندما أسقطت هاتين الفكرتين تماما ، وأصبح الذى يقوم بعمل — أى عمل — سواء كان ذهنيا أو يدويا ، يستحق الاحترام ، وذلك فى المقابل من العاطل عن العمل تماما . وفى الغرب كله ، لا يوجد إنسان يعمل عملا محترما ، وآخر يعمل عملا حقيرا ، لأن تلك الأوصاف لا ينبغى أن تقال على أى عمل . فالذى يكنس الشوارع ، أو يجمع القمامة ، أو ينظف زجاج العمارات يحظى بنفس الاحترام الذى يحظى به الأستاذ فى الجامعة ، والمدير فى المؤسسة ، والمحامى فى المحكمة . وهكذا فإن العمل مهما كانت طبيعته شرف للإنسان ، لأنه يجعله مساهما فى المجتمع ، قادرا على إعالة نفسه وأسرته ، حتى لا يمد يده للآخرين .

قال الشاب بانكسار : لكن هل تعتقد أن المشروعات الصغيرة بحالة جيدة ؟ إن الكثير منها متعثر ، وبعضها يموت دون أن يجد أى دعم ممن حوله ! قلت له : أنا معك فى ذلك . ومن حق المشروعات الصغيرة أن تكون موضع عناية الحكومة ، وأن تجد المكان والمكانة اللائقة بها فى الحياة الاقتصادية ، ويكفى أن أشير إلى أن الجزء الأكبر من المنتجات الصناعية فى الصين من عمل المشروعات الصغيرة ، ولما أقصد أن يقام لأصحابها (شادر) يضم ما ينتجونه إلى جوار ما تنتجه المشروعات الكبرى ، وإنما أن تتاح لهم فرصة التوريد لمختلف المحلات ، مع فتح نافذة أمامهم للتصدير إلى الخارج ، إلى جانب معاملتهم معاملة ضريبية رحيمة !